خمريات أبي محجن الثقفي بين الشك واليقين

د. عبدالله فتحي الظاهر(*)

إن الأمة العربية ارفع الأمم قاطبة شأناً وأعظمها مكانة، وما تزال كذلك منذ أن اختارها الله تعالى لحمل رسالته العظمى إلى الناس كافة، غير ان العرب أضاعوا عصبيتهم بعد أن انتشر الاسلام واتسعت دولته ودخل فيه من غير العرب أناس كثيرون، ولقد وقع الحيف على العرب منذ القديم، منذ أن اجترؤوا على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه للذي كان من تسامح استغله اعداء العرب والمسلمين لتمزيق شملهم ذلك أن المسلمين تمسكوا بجامعة الدين ونسوا الجامعة العربية، ولو جاهرنا بالحقيقة لقلنا إن النفوذ غير العربي بدأ يتغلغل في الأمة العربية منذ وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ولم نكن مغالين إذا أكدنا أن كثيرين ممن دخلوا في الاسلام كانوا يطمحون إلى محو أمة العرب من الوجود محاولين بكل وسيلة نفث السم في كيانها، كالذي كان من أمر الهرمزان وجفنة وسواهما زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. غير أن الأمة العربية بما تحمله من عناصر قوتها وثباتها بقيت برغم الدسائس محافظة على كيانها وستبقى كذلك حتى يرث الله الأرض ومن عليها ما التزمت برسالتها العظيمة، فلقد كان للقرآن الكريم الفضل الأول في ثباتها، أما الخرق الذي استغله اعداء الأمة فكان لأسباب عديدة لعل في

(*) قسم اللغة العربية - كلية الآداب / جامعة الموصل.

طليعتها تأخر تدوين التاريخ العربي الإسلامي إلى أيام بني أمية، الذي أتاح الفرصة للطاعنين على هذا الدين وهذه الأمة وجعل باب الدس منفرجا، كما أتاح بعد الزمن عن الأحداث حين التدوين الفرصة لتغيير بعض ملامح تلك الأحداث ولاختلاق أحداث أخرى مما ينسجم ورغبات الشعوبيين والصليبيين وأعداء الأمة العربية والإسلامية للطعن عليها في الصميم، وكانت عمليات التشوية واختلاق المواقف والأحداث في حيات جماعات من عظماء الرجال إحدى قنوات الدس والطعن، فلقد طال ذلك أعداد من الصحابة الكرام والتابعين والقادة والمفكرين وكثيرين من ذوي الشأن في هذه الأمة وفي كل ميدان، بل لقد طالت ألسنتهم وأقلامهم الحياة النبوية الشريفة وكثيراً من الأنبياء عليهم السلام.

لقد أفاد هؤلاء الطاعنون من أمور عديدة كانت ثغرات اخترقوها لتحقيق مآربهم لعل أهمها خلو مروياتنا من سلاسل الإسناد في أول أمرها لتندس موضوعاتها في حلقات تاريخنا بوصفها حقائق، مما حدا بالغيورين من العلماء للمسارعة إلى وضع قانون أصول الحديث أو الإسناد للتثبّت من صحة كل رواية تدوّن، غير أن بعض المفترين استغلوا سلاسل الإسناد الصحيحة في إيصال بعض القصص الموضوعة والأكاذيب وفي الافتراء على التاريخ.

وفيما يأتي ذكر لرجال ممن طالتهم يد الافتراء فذكرتهم بعض كتب التاريخ وتاريخ الأدب بتهم هم منها براء، من هؤلاء البطل أبو محجن الثقفي رضي الله عنه فقد كان واحداً ممن صُبَ عليهم جام الحقد والغضب فلاكته

الألسن بتهمة استمراره على شرب الخمرة بعد إسلامه والمجاهرة في شعره بذكرها ووصف مجالسها مع اعترافه بحرمتها والاستهانة بعذاب النار في سبيلها إيغالا في المعصية فجاؤوا بشواهد من الشعر مؤكدين ما ذهبوا إليه بها.

فمن هو أبو محجن هذا؟... انه عبدالله بن حبيب بن عمرو بن عمير من بني ثقيف من الطائف، كان فارساً معدوداً في أولي البأس والنجدة في الجاهلية والإسلام، أسلم حين أسلمت ثقيف سنة تسع من الهجرة، وأبو محجن شاعر مخضرم حسن الشعر وله في المدح والفخر قصائد تستجاد[1] واغلب الظن ان كثيراً من شعره لم يصل إلينا لذلك فقد جمع ما بقي من شعره سنة ستمائة وإحدى وثمانين، ولذلك أيضا دخل فيه ما لم تتحقق نسبته إلى الشاعر لبعد الزمن بين الشاعر وبين جمع الديوان سوى نتف ومقطوعات وردت في بعض كتب التراجم والتاريخ وفي بعضها شيء من الاختلاف.

روى أبو محجن حديثا عن الرسول صلى الله عليه وسلم فقد اثبت الحاكم أنّ له صحبه وأنه روى حديثا شريفاً نقله السيوطي وأورده ابن الأثير قال: روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال:(أخوف ما أخاف على أمتي ثلاث، إيمان بالنجوم وتكذيب بالقدر وجور الأئمة)[2] وفي رواية العسقلاني ورد بلفظ.. وحيف الأئمة[3]. شارك أبو محجن الثقفي في معارك الجهاد وكان

(1) ينظر أسد الغابة، 276/6 وتاريخ الأدب العربي لعمر فرو في 294/1.

(2) ينظر أسد الغابة، 276/6.

(3) الإصابة، 7/ 170.

له في القادسية دور فاعل وبلاء عظيم ولقد أورد اغلب أهل التراجم والتاريخ قصة مشاركته تلك، وفيما يأتي بعض ما أوردته تلك الكتب.

روى ابن الأثير فيما رواه عن أحداث القادسية قال (لما اشتد القتال وكان أبو محجن قد حبس وقيد في قصر سعد، قال لسلمى زوج سعد: هل لك ان تخلى على وتعيرينني البلقاء، فلله علي إن سلمني الله أن ارجع إليك حتى أضع رجلي في القيد؟! فأبت! فقال:

كفى حزناً ان تطعن الخيلُ بالقنا واترك مشدودا عليّ وثاقيا
إذا قمتُ عنّاني الحديدُ وأُغلقت مصارعُ من دوني تصمُّ المناديا
وقد كنت ذا مال كثير واخوةٍ فأصبحتُ منهم واحد إلا أخاليا

فرقت له سلمى وأطلقته وأعطته البلقاء فرس سعد فركبها حتى إذا كان بحيال الميمنة كبر ثم حمل على الميسرة.... وكان يقصف الناس قصفا منكرا، وتعجب الناس منه وهم لا يعرفونه، فقال بعضهم هو الخضر، وقال آخرون لولا أن الملائكة لا تباشر الحرب لقلنا إنه ملك، وكان سعد يقول: لولا محبس أبي محجن لقلت هذا أبو محجن وهذه البلقاء، فلما انتصف الليل وتراجع المسلمون والفرس عن القتال، اقبل أبو محجن فدخل القصر وأعاد رجليهِ في القيد وقال:

لقد علمت ثقيفٌ غيرَ فخرٍ بأنا نحنُ اَجودُها سيوفا
وأكثرُها دروعاً ضافياتٍ وأصبرها إذا كرهوا الوقوفا
وأنا رفدهم في كلّ يومٍ فإن غَضِبوا فسَلْ رجلاً عريفا

فسألته سلمى: في أي شيء حبسك سعد؟ قال:

والله ما حبسني بحرام أكلته ولا شربته، ولكنني كنت صاحب شراب في الجاهلية، وأنا امرؤ شاعر يدب الشعر على لساني، فقلت:

إذا متُّ فادفني إلى اصل كَرمةٍ تروّي عظامي بعد موتي عروقُها
ولا تدفننّي بالفلاة فإنني أخافُ إذا ما مِتُّ إلا أذوقَها

فلذلك حبسني، فلما أصبحتْ أتت سعداً فصالحته وكانت له مغاضبة وأخبرته بخبر أبي محجن، فأطلقه وقال له: اذهب فما أنا بمؤاخذك بشيء تقوله حتى تفعله، قال: لا جرم والله لا أجبت لساني إلى صنعة قبيح أبدا)[4] وهناك روايات أخرى تذكر خبر اشتراكه في قتال الفرس إلا أنها تدس مسألة شربه الخمرة فيها وانه حبس بسببها في القادسية، ومنها ما يروى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر بحبسه بعد أن علم بفراره من البحرين حيث كان منفيا هناك لشربه الخمرة ورواية أخرى تقول: إنه نفي لاعتدائه على حرمات المسلمين وتشبيبه بنسائهم، وهذا ما سنذكره في السطور الآتية، أما الروايات الأخرى التي نقلت خبر اشتراكه في القادسية فعديدة نذكر بعضها، تقول رواية ابن سلام الجمحي (ت 230هـ): كان أبو محجن رجلا شاعرا شريفا، وكان قد غلب عليه الشراب، فضرب فيه مرارا ثم حبسه سعد بالقادسية في القصر معه والناس يقتتلون، فجال المسلمون جولة وهو ينظر فقال: كفى حزنا... الأبيات، وكان مفيدا يومئذ عند زبراء أم ولد لسعد بن أبي وقاص، فقال لها: أطلقيني، فلك الله لئن فتح الله على المسلمين وسلمت لأرجعن حتى أضع رجلي

(4) ينظر الطبري 3/ 548 والكامل في التاريخ 4750/2.

في القيد فأطلقته... فلما فتح الله على المسلمين رجع إلى محبسه فقال له سعد: لا ضربتك في الخمر أبدا، فقال أبو محجن: وأنا والله لا اشربها أبدا[5] وتقول رواية ابن قتيبة (ت 276هـ): كان أبو محجن مولعا بالشراب مشتهرا به وكان سعد بن أبي وقاص حبسه فيه، فلما كان يوم القادسية وبلغة ما يفعل المشركون بالمسلمين وهو عند أم ولد لسعد، قال: كفى حزنا.... الأبيات، فقالت له أم ولد سعد: أتجعل لي إن أنا أطلقتك أن ترجع حتى أعيدك في الوثاق؟ قال: نعم، فأطلقته وركب فرسا لسعد بلقاء وحمل على المشركين... ثم تقول الرواية: فأرسل سعد إلى أبي محجن فأطلقه وقال: لا حبستك فيها أبدا، قال أبو محجن: وأنا والله لا اشربها بعد اليوم أبدا[6] وتقول رواية أبي الفرج الأصفهاني (ت356هـ). وهي رواية مسندة رواها عن ابن الأعرابي عن المفضل تقول: لما كثر شرب أبي محجن للخمر وأقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه عليه الحد مرارا وهو لا ينتهي، نفاه إلى جزيرة في البحر يقال لها حضوضى، وبعث معه حرسياً يقال له ابن جهراء، فهرب منه أبو محجن إلى ساحل البحر ولحق بسعد بن أبي وقاص[7] وللأصفهاني رواية أخرى في سبب نفيه يتفرد بإيرادها وهي مسندة كذلك تقول: إن أبا محجن هوى امرأة من الأنصار يقال لها الشموس، فحاول النظر إليها بكل حيلة فلم يقدر عليها، فأجر نفسه من

(5) طبقات فحول الشعراء 268/1.

(6) الشعر والشعراء 1/ 423.

(7) الأغاني 289/14، وط ساسي 137/21.

عامل يعمل في حائط إلى جانب منزلها، فاشرف من كوة في البستان فرآها فأنشأ يقول:

ولقد نظرتُ إلى الشموسِ ودونَها حرَج من الرحمن غيرُ قليلِ...
قد كنتُ أحسبُني كأغنى واحـــــدٍ وَرَدَ المدينةَ عن زراعةِ فولِ

فاستعدى زوجها عمر بن الخطاب فنفاه إلى حضوضى... ففر منه واقبل إلى سعد وهو يقاتل العجم يوم القادسية، وبلغ عمر خبرُه فكتب إلى سعد بحبسه فحبسه... ويكمل القصة كما مر[8] ويعتمد ابن حجر العسقلاني (ت852هـ) رواية الأصفهاني هذه وينقل عنه البيت الأول[9] أما ابن عبدالبر (ت463هـ) فينقل خبر الحوار الذي دار بين أبي محجن وسعد كالآتي: قال: فدعاه سعد وحل قيوده قال: لا نجلدك على الخمر أبدا!! قال أبو محجن: وأنا والله لا اشربها أبدا، كنت آنف أن أدعها من اجل جلدكم! قال فلم يشربها بعد ذلك[10] وتتوالى الروايات بعد أبي الفرج ويأخذ اللاحق عن سابقه أو يعتمدونه ناقلين قصة أبي محجن مع الشموس مؤكدين مسألة تعاطي أبي محجن الخمرة وبخاصة في ساحة المعركة في القادسية مختلفين في نقل الحوار بين أبي محجن وسعد بما يعطي إشارة واضحة تؤكد الصنعة المقصودة فيها، ولننظُرْ في كتب التراجم والتاريخ ونحقق في مسألة خمرياته ومدى صدق ما نسب إليه، أما مسألة شربه الخمرة فأمرٌ مقطوع فيه ولكن قبل إسلامه

(8) م. ن.

(9) الإصابة 4/ 174.

(10) الاستيعاب 4/ 683.

بحسب اعترافه هو لزوج سعد ثم إن عقوبة شارب الخمرة ليست كما تورد بعض المصادر التي ترجمت له الحبس أو النفي أو سوى ذلك. إنه حد معروف، ولعلنا انتبهنا إلى طريقة عرض أبي الفرج الأصفهاني للحوار ووصف أبي محجن بأنه لم يكن لينتهي عن شربه الخمرة وهو المتفرد بهذا الوصف، فهو يورد قصائد ومقطوعات يتفرد بنقلها تجعله غارقاً فيها مجاهراً بها أمام الملأ ومتحديا قائده سعدا بأنه لا يتركها ما أمروه أو حدّوه فيها!! حتى لقد عده بعض الباحثين المحدثين أول رائد في الشعر الإسلامي في وصف الخمرة[11] معتمدين أخبار خمرياته ومباذلة من الأغاني التي تفرد الأصفهاني بذكرها ومن الغريب أنْ يتابع بعضُ الباحثين المحدثين ما جاء به بعضُ القدماء في شأن الخمرة والمباذل. وأما ما ورد في بعض مصادر شعره وديوانه من إشعال خمرية فقد نظرنا فيه مبتدئين بديوانه الذي نشره د. صلاح الدين المنجد 1970م معتمداً نسخة خطية جمع أشعارها أبو هلال العسكري (ت395هـ) مكتوبة بخط ياقوت المستعصمي سنة (681هـ) أي انها كتبت بعد أبي محجن بأكثر من 650 سنة، وأما ما جاء في ديوانه من ذكر للخمرة شارباً أو مادحاً أو ذاماً فكالآتي:

1. النتفة ذات التسلسل (2) وردت في الشعر والشعراء وتاريخ الطبري والأغاني و الفائق للزمخشري والاستيعاب وخزانة البغدادي ولم يُشر أي منهم إلى زمنها بل لم يدَّع احدٌ أنه قالها وهو مسلم بوصفه معاقراً لها وقد أوردوها على أن عبدالملك بن

(11) ينظر مقدمة ديوانه ينشر د. صلاح الدين المنجد ص6.

مروان خاطب عبيد بن أبي محجن قائلا أبوك الذي يقول: إذا مت فادفني إلى جنب كرمة... البيتان قال: يا أمير المؤمنين أبي الذي يقول:

لا تسألي الناس عن مالي وكثرته... وأنشد لابيات فأمر له بعشرة آلاف درهم.

إن هذين البيتين لم ينكر نسبتهما إليه أحد ولم يستطع إثبات إسلاميتهما أحد ونحن لا ننكر قوله إياهما ماداما لا ينصان على شربه الخمرة بل كانا من أمانيه ونفثات شاعريته وحسب.

2. المقطوعة (8) تفرّد الديوان بإيرادها وقدّم لها جامع أشعاره بقوله: وكان أبو محجن مع سعد بالقادسية وكان سعد لا يزال يراه شارباً!! فقال له: لتنتهيّن أو لأوجعنك ضرباً؟ فقال: لست تاركها لقولك أبدا، وبلغه أنه قال:

الاسقّني يا صاح خمرا فأنني بما أنزل الحِمن في الخمر عالمُ
وجد لي بها صرفاً لازداد مأثماً ففي شربها صرفاً تتم المآثمُ
هي النار إلا إنني نلتُ لذةً وقضّيتُ أو طاري وإن لام لائمُ

فأمر سعد فحبس.

فإذا أمعنا النظر في هذه المقطوعة علمنا أنها مصنوعة لركة أسلوبها وتأخره عن زمن أبي محجن ولخروجها عما عرف به أبو محجن من شهامة ونجدة واحترام، فكيف يجاهر بالخمرة ويتحدى قائده في استهتاره بها ويتغنى بتمام الآثام جرّاها؟ ألم نقرأ أنه حبس لأمر الخليفة بذلك حين علم بفراره؟ فأنظر!

3. المقطوعة (12) تفرد الديوان بإيرادها وهي صنو سابقتها في الاستهتار بذكر الخمرة وبتحدي الحدود.... تقول الأبيات:

إذا كانت الخمر قد عزت وقد منعت وحال من دونها الاسلام والحرج
فقد اباكرها ريّا وأشربها صرفاً واطرب أحيانا وامتزج
وقد تقوم على رأسي مغنية فيها إذا رفعت من صوتها غنج

ترفّــع الصــوت أحيانا وتخفضـــه كما يطنّ ذباب الروضة الهـرج

هذه كتلك ليست في أساليب عصر صدر الإسلام وعلى الرغم من ذلك فهو فيها أو الشاعر فيها يبدأ أفعاله فيها بـ(قد) وهي ليست دليلاً على شربها بل دليل على الاستهتار بها.

4. المقطوعة (11) تفرد الديوان بإيرادها وهي في ذم الخمرة ويؤكد الشاعر فيها تركة إياها لان الخليفة درأ عنه حدَّها!! إنها لا ترقى بأسلوبها إلى عصر الشاعر ولا إلى أسلوبه فيما صحت نسبته إليه من شعره كما أن تعطيل الحدود لا مبرر له للخليفة وهو أمر مردود ولذلك فأني أرى نسبتها إليه باطلة.
5. المقطوعة (17) تبدأ بالبيتين اللذين جاءوا في التسلسل (2) وصحت نسبتهما إليه من غير تحديد لزمن قولهما الأول، ويضيف الأصفهاني ستة أبيات تصف معاقرة الشاعر للخمرة ومباذله، والأصفهاني بإلحاق الأبيات المزعومة هذه إلى البيتين الشهيرين اكسبهما لدى بعض القراء والباحثين بعض صدق النسبة إليه بالمتابعة.... وليس ذلك إلا لأمر في نفسه، وليس هذا وحسب فقد صنع الصنيع نفسه حين أضافَ بيتاً لا يليق بالشاعر في فترة إسلامه فجعله ضمن مقطوعة صادقة النسبة إليه مشهورة في كتب المغازي والسير هي المبدوءة بقوله: كفى حزناً... الأبيات، أما البيت التاسع اللصيق فهو:

ليروى بخمر الحصّ لحمي فإنني أسيرُ لها من بعد ما قد أسوقها

فالبيت واضحُ الإقحام بيّنهُ وغايةُ واضعهِ إثباتُ تعاطي الشاعر الخمرةِ حين يصفه محاولاً الإقلاع عنها...

6. هناك مقطوعتان بالرقمين (6،7) يذم بهما الخمرة تبدأ الأولى بقوله:

يقول أناسٌ اشربِ الخمرَ إنها إذا القوم نالوها أصابوا الغنائما

فقلت لهم جهلاً كذبتم ألم تـروا أخاها سفيها بعدما كان حالمـــا

وتبدأ الثانية بقوله:

أتوب إلى الله الرحيـــم فإنّـــــه غفورٌ لذنبِ المرء ما لم يعاودِ

ولستُ إلى الصهباءِ ما عشتُ عائداً ولا تابعاً قولَ السفيهِ المعانـدِ

هاتـان المقطوعتـان فـي ذم الخمر كمـا تـرى ولكن لسـان حـال أسلوبها ينفـي نسبتهما إلى الشاعر ففي النص الأول ضعف وركة وفي الثاني معاضلة لم يكن ليقع فيها شاعر كأبي محجن ففي قولـه البيت: أتـوب إلـى الله... مـا لـم يعـاودِ، ليس لكلمـةِ (مـا لـم يعـاود) معنـى يصـح لأنـه إن عـادوا وتـابَ غفر الله لـه، والمعـاودة فـي ذلـك كالابتداء[12].

وأحسب أن منصفاً أراد أن يمحو عن الشـاعر بعض مـا لحـق بـه مـن تشـويه وسخائم بخاصة من لدن أنـاس يرومـون الإيقـاع ببعض رموزنـا الـذين أذلـّوا أعداء الإسلام من مشركين ومجوس وكانوا قد قعدوا لكثير من هؤلاء بالمرصـاد ولعل أبـا الفرج الأصـفهاني واحد مـن هؤلاء المتربصـين فوضـع هذا المنصـف ذلـك الشـعر على لسانه!

7. يضيف الناشر زيادات في الفخر والمديح عن عدد من الكتب وهـي بحسب ورود الأشعار فيها خزانة الأدي والمؤتلف والمختلف والبيان والتبيين والشعر والشعراء أما ما أضافه عن الأغاني فنصـوص تقتصـر علـى موضـوع الخمـرة وحسـب وهـي ذوات التسلسل (4،5،6،7) فالنص (4) يبدؤه بقوله: جلده عمر بن الخطاب فقال

وإني لذو صبر وقد مات اخوتي ولست عن الصهباء يوماً بصابر

رماها أمير المؤمنين بحتفهـــا فخـُلاّنـُها يبكون حول المعاصـر

(12) ينظر الديوان، 35.

والنص (5) ثلاثة أبيات أحدها:

انني باكرت مترعة مزة راووقها خضل

والنص (6) نتفة تؤكدا استهتار الشاعر بإحدى نساء الأنصار وإنها سبب نفيه إلى البحرين وهي:

ولقد نظرت إلى الشموس ودونها حرج من الحِمن غير قليـــل

قد كنت احسبني كأغنى واحـــــدٍ ورَدَ المدينة عن زراعةِ فول؟!!

والنص (7) نتفة كذلك يرويها الأغاني ويأخذها عنه الاستيعاب وهي في ذم الخمرة. وهذه النصوص التي تفرد الأغاني بإيرادها، وهي في الزيادات، وبعد ان صارت في متن الديوان وأصبحت كحقيقةٍ قالها الرجل الشاعر فنقلت عن الديوان وعملت هي وما نسب إليه من الأشعار والأخبار سواها عملا مشينا ولا شك أن الأصفهاني رجل عرف بالطعن على العرب المسلمين على الرغم من نسبة العربي الأموي، كان للشعوبية التي كان قد استفحل أمرها في عهده اثر واضح في فكرة فدعاتها كانوا يتغنون بأمجاد آل ساسان ويفاخرون بانتماءاتهم إلى تلك الأعراق في حضرات أناس عرب أقحاح كالذي كان زمن هشام بن عبدالملك الذي عاقب الشاعر إسماعيل بن يسار الذي كان يفاخر ببعض ملوك الفرس في حضرته، لقد كان أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني ذا تصانيف كثيرة منها كتابه ذائع الصيت الأغاني، الكتاب الذي اعتمده باحثون وأدباء ومؤرخون قدماء ومحدثون في ميادين كثيرة منها الأدب وتاريخه وبعض التراجم... ولكننا عند التثبت من مروياتهم التي اعتمدوها من الأغاني وجدنا اغلبها واهياً لما فيه من غرابة وافتراء واضح يخالف معطيات الحقيقة.

وقد عرف عن الأصفهاني إتيانه بالغث على الرغم من اعتماده سلاسل الإسناد في كثير من مروياته بل ان سلاسله تلك كانت خير وسيلة لإيصال مروياته

إلى المتلقى وقد تنبه إلى ذلك عدد غير قليل من الباحثين فنبهوا إليه، يقول د. محمد احمد خلف الله (يجب ان لا يخدعنا إيراد الأخبار مسندة في كتاب الأغاني، وانما يجب علينا أن نقف عند كل خبر لنسبر غوره ونقيسه بمقياس الحقائق التاريخية)[13]

ويقول:

(حرصُ أبي الفرج على الإسناد واضح... وهو حرص لا يتلاءم وتساهله في المرويات وأخذه عن الكذبة وتدوينه للمصنوعات. لأن الإسناد ما وجد إلا ليحول بين الرواة وبين أن يخدعوا فيرووا الأكاذيب أو الموضوع من الأخبار والأقاصيص)[14].

ولقد اعتمد الرجل عدداً من الرواة الكذابين والوضاعين وعدّ أخبارهم موثقة مما لوّث صفحات بيضاً في سجلّ تاريخنا العظيم بالسخائم والترهات.

لقد كان الأصفهاني حين يعرض للكتاب والشعراء يهتم بسرد الجوانب الضعيفة من أخلاقهم أو ما عرف عنهم من قبل ولم تعد لهم بها علاقة كأن يكون في حياة جاهلية وانتقل إلى الإسلام، ضالاً فاهتدى. ويهمل الجوانب الجادة إهمالا ظاهراً يدل على قلة عنايته بتدوين أخبار الجد والرزانة والتجمل والاعتدال، وقد دافع بعض الباحثين المنصفين عن بعض من نالته أيدي الدس والطعن. يقول السيد حامد العزي مدافعاً عن أحد ضحايا الأصفهاني: ولقد انصفنا الرجل حين انتشلناه من براثن التبذل.... فإن كان أبو الفرج يبغي من ذلك حكاية ماجنة تروق أهل

(13) أبو الفرج الأصفهاني / الرواية نقلاً عن: السيف اليماني... وليد الاعظمي/9.

(14) م . ن. 202.

عصره وزمانه فقد زور وأثم... أما الأحكام التي أصدرها أبو الفرج بشأن الرجل فقد كانت مجانية اعتباطية[15].

ولعلنا إذا عدنا إلى بعض النصوص التي جاءت بها كتب التاريخ والتراجم لنقف عند نصوص اتفقت كلها في مسألة مشاركة أبي محجن في المعركة وأنه بذل جهداً عظيماً في جهاد الفرس غير أنها تختلف في مسألتين مهمتين أولهما سبب حبسه والثانية الحوار الذي دار بينه وبين زوج سعد وبينه وبين سعد نفسه. أما مسألة حبسه في قصر سعد فلا شك في أنها حقيقة وأحسب ان السبب لم يكن الخمرة وهذا أمر قاطع فنصوص اتهامه بشرب الخمرة متضاربة منها القائل بشربه الخمرة التي عوقب عليها ونفي وهرب والتحق بسعد فسجنه سعد بإيعاز من الخليفة عمر.... رضي الله عنه ومنها نصوص تقول شربَ الخمرة في ساحة المعركة فقال له سعد لتنتهين أو لأوجعنك ضرباً فقال لست تاركها لقولك أبدا!! أيصح أن يقف مجاهد من قائده هذا الموقف المشاكس؟! (انظر لأبيات ديوانه 36) بحيث يخاطبه بقوله:

إلا سقّتني يا صاح خمراً فإنني بما انزل الرحمن في الخمر عالم..الأبيات

هذا فضلاً عن أن صياغة القصيدة كما ذكرنا لا يرقى إلى أسلوب أبي محجن وان الأصفهاني تفرد بإيرادها. ومنها القائل بشربه الخمرة قبل إسلامه ومنها القائل بقوله في الخمرة أشعارا وحسب أما الحوار الذي دار بين أبي محجن وبين سعد فقد جاء بصورتين:

الأولى التي تصمه بالخمرة في الإسلام، وهي بحسب ورودها في مصادرها كالآتي: تقول رواية طبقات فحول الشعراء: قال سعد: لا ضَرَبْتُكَ في الخمر أبدا،

(15) قراءة في أغاني أبي الفرج 55/222 حامد احمد العزي وينظر النثر الفني في القرن الرابع الهجري د. زكي مبارك.

فقال أبو محجن: وأنا والله لا اشربها أبدا[16] وتقول رواية الشعر والشعراء: قال سعد: لا حَبستُك فيها أبدا، قال أبو محجن: وأنا والله لا اشربها بعد اليوم أبدا، وكذلك أوردها الاستيعاب وأسد الغابة والإصابة، وأثرُ نقل اللاحق عن السابق واضح، وقد يكون مصدرها واحدا وحسب.

إن هذه الصورة أعنى الصورة التي رُسمت لسعد بن أبي وقاص لا تعطي حقيقة رجل صحابي مجاهد له مكانه الرفيع في تاريخ الإسلام وفي الحياة النبوية، ذلك أنه ليس من المعقول أن يَحُدَ شارب الخمرة بالسجن أو أنه يعفو عن شارب خمرة مجاهر بها مستهتر بالحرمات بحسب بعض المصادر!! إلا يَعدَّ ذلك تعطيلاً للحدود أو تلاعباً بها؟! أما أمر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بحبسه فليس له مظان تؤيده بل لا نعرف أن كان هذا الأمر قد حصل أم لا فإن كان حاصلاً فما الأمد الذي أمضاه طليقاً حتى علم بفراره من البحرين؛ وأين كان أبو محجن في الفترة بين فراره من منفاه وبين الأمر بحبسه؟! أكان يقاتل في القادسية؟ أم كان ينتظر صدور الأمر بحبسه؟ أم كيف؟ فإذا علمنا أن رواية النفي كانت غير دقيقة وكانت مقترنة بسبب مصنوع هو الآخر وهو تشبيبه ببعض نساء الصحابة وقوله الشعر فيها وملاحقته إياها – كما يدعي أبو الفرج – إذا علمنا ذلك سقطت الروايتان بحسب ما أراه.

وثبتت رواية مجاهرته بقول الشعر الخمري لتصح جرّاها عقوبة النفي إلى البحرين ليفر من ثمّ إلى سعد قي القادسية ويكونَ له فيها شأن، أما أمر حبسه فلأمر ما سنعرفه إن شاء الله عما قريب.

---

(16) 1/ 268.

أما الصورة الثانية للحوار بين أبي محجن وبين زوج سعد وبينه وبين سعد نفسه فهي اقرب إلى التصديق إذا اعملنا فيها النظر والفكر. فقد روى الطبري والمسعودي وابن الأثير صورةً خلاصتها أن أبا محجن حين عاد إلى محبسه ووضع رجليه في القيد سألته سلمى: في أي شيْ حبسك سعد؟ قال: والله ما حبسني بحرام أكلته ولا شربته ولكنني كنت صاحب شراب في الجاهليه وأنا امرؤ شاعر يدبَ الشعر على لساني فيبعثه على شفتي أحيانا، فساء لذلك ثنائي، ولذلك حبسني حين قلت: إذا مت فأدفني إلى جنب كرمة....البيتين. وبعد أن علم سعد بقصته أثنى عليه لبلائه ودفاعه الصادق ودعا به وحل قيوده، فقال له: اذهب فما أنا مؤاخذك لشيء تقوله حتى تفعله، فقال والله لا أجيب لساني إلى صفة قبيح أبدا[17] إن هذه الرواية تنسجم فيها أقوال سلمى وسعد وأبي محجن والحقيقة فسعد يعطي عهداً لأبي محجن بأن لا يعاقبه في قول الشعر الخمري وأبو محجن يعطيه موثقاً بأن لا يقول في الخمرة شعراً أبدا، وكان قبل ذلك قد أقرّ لزوج سعد بأنه حبس لقوله شعراً في الخمرة لا لشربه إياها. إن أبا محجن صادق في ذكر ولعه بالخمرة ولكن في جاهليته، وصادقٌ في إقلاعه عنها بعد إسلامه وهو صادق كذلك في أن سبب حبسه كان قوله الشعر لأنه اعلم بذلك، لا بسبب آخر، ولكن سعداً لم يكن ليعلنَ عن سبب الحبس الحقيقي فالجو كان مشحوناً بشغب كبير والجيش يخوض معركة كبيرة حاسمة وكان كثير من جند سعد قد شغبوا عليه لقعوده عن قيادة المعركة ومباشرته القتال ولم يكن ليعلم كثيرون بمرضه الذي أقعده فجعله يوجه المعركة من سطح القديس، لقد شغب عليه بعض جنده وبعض وجوه قومه وكانت زوجه في طليعة من

(17) الطبري 3/ 548، ومروج الذهب 2/ 323 والكامل في التاريخ 2/ 475 وينظر شعر الفتوح الإسلامية للنعمان القاضي 190.

نسبه إلى الجبن حين استصرخت المثنى زوجها قبل سعد (وامثنياه ولا ومثنى للخيل اليوم) فلطمها سعد وأغضبها، وقد تزامنت هذه القصة وقصة شغب هؤلاء.... أما أبو محجن فقد ردد ما قاله بعض الوجوه ولم يكن سعد ليأمر بحبس الجند من ذوي الشغب لكثرتهم ولضعف اثر شغبهم إزاء تمرد ذوي الصوت المديد، كأن يكون وجهاً أو شاعراً تصل كلماته أبعد المديات لذلك – والله اعلم، جعل سعد مسألة قول الشعر.

في الخمرة خير ذريعة أو عذر لحجبه عن الجند، ولم يصرح بالسبب الحقيقي حتى لا تكون فتنة وتكون النتيجة اكبر.... ولقد أكد الطبري في تاريخه أن سبب حبس أبي محجن وسواه من الوجوه كان شغبهم واختلافهم عليه[18] ولا شك إن مسألة حدّة في القادسية وشعره الذي أصر فيه على ذكر الخمرة ومما نسب إليه كان من التأثيرات الشعبية التي كانت تلحق بكل من اشتهر بأمر ما كأن يكون بطولات خارقة أو مغامرات في أحد ميادين الحياة كعنترة العبسي والمقداد بن الأسود والقعقاع وهارون الرشيد ومجنون بني عامر وأبي نؤاس وسواهم كثير وكذلك كان أمر أبي محجن الثقفي فضلا عما وصمه به بعض ذوي الحقد والموتورون من تزييف وتشهير وروايات باطلة، وكذلك طالوا بأحقادهم كثيرين من رموزنا الرفيعة ممن أذلوا أعداء العرب والمسلمين. ولعل من الغريب أن بعض أدباء الأمة العربية ومؤرخيها المحدثين تابعوا بعض الكتاب القدماء فاخذوا عنهم الباطل من غير تمحيص أو تحقيق فجاءت الأباطيل بإطار مطرّز على أنها حقائق على الرغم من أن إمعان النظر فيها وفي الأحداث في إعصارها وفي سير رواتها والتحقق من رجال السند ومن مظانّها يؤكد بطلانها ويَقِيناً على الحقائق، فهذا

(18) ينظر 3/ 549.

الدكتور شوقي ضيف يقول في أبي محجن في كتاب يدّرس في كثير من الجامعات العربية... يقول: كان مولعاً بالخمر فحبسه سعد بن أبي وقاص[19] وهذا الدكتور صلاح الدين الهادي يقول: (وهاهو ذا أبو محجن الثقفي يجاهر في شعره بذكر الخمرة وإدمان شربها ويصف بعض ما يدور في مجالسها من غناء ومجون مع اعترافه الصريح بأن ذلك حرام محرم في الإسلام). ثم يأتي بشاهد من قول أبي محجن وهو يحاور سلمى زوج سعد: (كنت صاحب شراب في الجاهلية...)[20] ويقول الدكتور سامي العاني: (وجاهر أبو محجن الثقفي بتعاطيه الخمرة وشغفه بها فأنشد: إذا مت فادفني إلى جنب كرمة.... البيتين ودفع ثمن هذه المعصية، فقد جَلَدَهُ عمر ونفاه من المدينة بهذا الشعر وحبسه سعد بن أبي وقاص بأخرى مثلها[21] ويقول الدكتور مصطفى الشكعة مدافعاً عنه: (يعتبر أبو محجن مثلاً أعلى للفناء في سبيل العقيدة وهو نفسه كان يوما غارقاً إلى أذقانه في دنان الراح وكاسات الشراب إلى الحد الذي جعله يقول استمساكاً بها وغلوا في معاقرتها: إذا مت... البيتين. ولكن أبا محجن الفارس المجاهد المحارب هو الأصل وأبا محجن الإنسان البشري هو الفرع وجوهر الأصل يغلب عرض الفرع، وكان الشراب عرضا بالنسبة إليه ثم تاب إلى نفسه واقلع عنها[22] ألا ترى أن الدكتور ضيف لم يبرهن الخبر الذي نقله عن المصادر القديمة؟! أما الدكتور صلاح الهادي فيذكر خبر مجاهرته بالخمرة وإدمانه شربها ووصفه مجالسها وسوى ذلك معتمداً قول أبي محجن الذي لا ينص قطعاً إلا على براءته من الخمرة في الإسلام ولا يعد قطعاً اعترافاً

(19) تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي/ 62.

(20) ينظر الأدب في عصر النبوة والراشدين 323.

(21) ينظر دراسات في الأدب الإسلامي 183.

(22) الأدب في موكب الحضارة الإسلامية 1 / 111.

بشربه الخمرة في الإسلام بل هو وصف لحاله في أيام جاهليته هو، علماً أن الدكتور اعتمد في نصه الذي جاء به شاهداً على الطعن على الرجل من كتاب الأغاني وحسب أما الدكتور سامي العاني فيؤكد تعاطيه الخمرة وشغفه بها ويذكر النص المشهور: إذا مت... ويرى أنه دفع ثمن المعصية الجلد والنفي.... ألا ترى ان النص لا يشير إلى شربه الخمرة؟! ألا ترى ان النفي (إذا صدق الخبر) كان جراء قوله ذلك الشعر لا لشربه الخمرة؟! ثم انه يقول: حبسه سعد بأخرى مثلها؟ ماذا يقصد الدكتور العاني؟ هل يرى انه شرب الخمرة فعاقبه أم قال شعر الخمرة فحبسه؟! أما الدكتور الشكعة فيدافع عن الشاعر وهو بذلك يثبت معاقرته الخمرة وغرقه في دنانها ثم يأتي بالشاهد: إذا مت... وجعل شربه الخمرة عرضاً!! ونحن نقول: لا، أنها كانت قبل إسلامه. أما توبته فكانت عن قوله الشعر في الخمر، وإني أكاد أقول إن اغلب من ترجم لعصر صدر الإسلام فأورد ذكر أبي محجن ذكر مسألة معاقرته الخمرة ومجاهرته بها... ومن خلال النصوص المنبثّةِ في المصادر والمراجع خلصت إلى أن أبا محجن لم يعاقر الخمرة في الإسلام ولم يتعدّ حرمات الله ولم يَنفَ بسببٍ من هذا وقد يكون النفي قد حصل لقوله شعراً في الخمرة. أما سجنه فكان بسببٍ أكدّه الطبري هو اشتراكه في الشغب على قائد القادسية سعد بن أبي وقاص ولم يعلمه بالسبب الحقيقي لأنه لو اعلمه بذلك لانتشر ولـَعَمِلَ عملـَه السيئ فقد يكون سبباً في تمادي الجند وهم يسمعون بيتاً من الشعر يصف القائد بالقعود عن القيادة ولكن القائد كتم ذلك وقمع ما كان يتوقعه من فتنة.... والله تعالى اعلم.

Abstract

Al. Khamriayat poetry

of

Abu-Mihjen Al Thaqafi

Dr. Abd All fathee [*]

He was very well knight during Jahili and Islamic periods. He declared his belief of Islam when his tribe did that. He was accused of drinking Wine which was forbidden by Islam, Most of the saurces depended on one narration which accused the man of being in prison during Qadisiya battle in which he was clearly hero atter he escaped from his prison in order to take part of the battle.

Al-aghani book astonishingly a depended mostly on such narrations which diminish him.

We find no sign of describing wine in his dewan during Islamic period Never the less, it seems that his imprisonment in Qadisiya battle was for security reasons to prevent ramours a gainst the leader of Islamic army Saad bin Abi Waqqas. We concluded that after the talks between the poet and Saad himself which is a clear proof that he did not drink wine in Islam

(*) College of Arts / University of Mosul.